

دور الخطاب الديني في تعزيز الوفاء للوطن لدى المهاجرين

The role of religious discourse in promoting loyalty to the homeland among immigrants

زلافي عبد الحميد

Zelafi ABDELHAMID

جامعة الطاهري محمد - بشار hzelafi@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/11/15

تاريخ القبول: 2022/11/10

تاريخ الاستلام: 2022/ 10/31

ملخص:

إن للخطاب الديني دور مهم في تعميق وتعزيز الوفاء للوطن لدى المهاجرين ولا يمكن أن يكون لهذا الخطاب دور إلا اذا كان مرصع بحمولة قرآنية تزكي الروح وتعمق الايمان بأن الوطن والحفاظ عليه والدفاع عنه والسؤال عن أخباره واجب شرعي ولا يمكن كذلك أن يكون لهذا الخطاب دور مهم في تكريس الوفاء للوطن إلا اذا كان خطابا يحقق مقصد الوحدة شعبا ووطنا ومقصد تعمير الأوطان للتنمية والشهود الحضاري، وكذلك يجب أن يحافظ هذا الخطاب على المقاصد الكلية الخمسة كحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، فهي في علاقة تجاذبيه بين حفظ هذه الكليات وحفظ الأوطان. فإذا ضاع الوطن ضاعت هذه الكليات وإذا ضاعت هذه الكليات ضاع الوطن، وكذلك أن يحافظ هذا الخطاب على منظومة القيم كالوفاء والصدق والعمل والإخلاص وغيرها من القيم لأن بتعميق القيم لدى المهاجرين نبني مهاجرا يحب وطنه ويخلص له.

كلمات مفتاحية: مقصد الوحدة - حفظ الأوطان - الكليات الخمسة - مقصد التعمير - المصلحة العامة - المصلحة الخاصة.

Abstract:

Religious discourse plays an important role in deepening and strengthening loyalty to the homeland among immigrants. this discourse cannot play a role unless it is accompanied by a Quranic load that purifies the soul and deepens the belief in which of the homeland, preserving, defending, and asking about the news is a legitimate duty.

This discourse cannot play an important role in devoting loyalty to the homeland, unless it achieves the goal of unity, in terms of people, nation and the goal of reconstruction the homelands for development and civilized manifestation. this discourse must preserve the five overall goals, such as preserving religion, self, offspring, mind and money. If the homeland is lost, these overall goals are lost, and vice versa. This discourse must preserve the system of value such as: loyalty, honesty, work, sincerity and other values, because by deepening the values of immigrants, we can build an immigrant who loves his loyal to his homeland and is loyal to it.

Keywords: Purpose of unity – Preservation of nations –The five overall goal – goal of reconstruction- Public interest – Private interest.

● مقدمة

إن الخطاب الديني المتميز بحس إنساني لا ينحصر في ظاهر المنقول بعيداً عن روح التشريع ومقاصده، كما لا تقوده العواطف التي لا تستنير بنور العقل، بل ينبني على قراءة منطقية مرسعة بفقّه دقيق لواقع المهاجرين وبحكمة ورزانة وعمق تحليل وحمولة قرآنية مزينة بفقّه عميق لنصوص الوحي، وكلما إمتلك صاحب الخطاب، إمام _ داعية _ أستاذ _ سياسي، هذه الأدوات كان دليل على وعي بفقّه المهاجرين واختيار سليم لخطاب ديني يمس جوانب احتياجاتهم مما يعزز الوفاء للوطن، من ثم كان حري بنا أن نطرح هذا السؤال: كيف يكون للخطاب الديني دور في تعزيز الوفاء لدى المهاجرين؟

1. أنواع الخطاب الديني في تعزيز الوفاء للوطن لدى المهاجرين

1.1 خطاب جامعاً يتجلى فيه مقصد الوحدة :

هذا المقصد يؤكده القرآن الكريم في نصوص كثيرة من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات الآية 13)، إذ تبين هذه الآية وحدة الجنس الإنساني والأصل الواحد الذي انبثقت منه الشعوب والقبايل، فالاختلاف في الجنس أو اللون، أو غيرها لا يكون سبباً للتصادم والافتتال أو العدوان ومنه يكون قد قدم الخطاب القرآني القواسم المشتركة بين شعوب الأرض حتى تتحد وتتعايش فيما بينها وتنبذ أسباب الاختلاف والتنازع، وأنت تقرأ أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول يوم من هجرته، ففي الحديث الذي رواه الترمذي، قال عبد الله بن سلام: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إنجفل الناس قبله فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أنه وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: (يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام). فهو عليه الصلاة والسلام بخطابه هذا يؤسس لدولة قوية تبنى على مقصد الوحدة شعباً ووطناً ويكون ذلك بنشر السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام.

ولعل عقد الأخوة الذي أبرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار يؤسس كذلك لوحدة الصف داخل الوطن الجديد، وتوحيده تربوياً وفكرياً لحماية الصف من أي كل خلل تربوي قد يؤدي إلى الاختلاف والتنازع، وفي آخر ما خطبه عليه الصلاة والسلام أيضاً في حجة الوداع قال: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) (متفق عليه)، فحفظ هذه الكليات الثلاث: النفس والمال والأعراض يؤدي حتماً إلى وحدة الصف، وإذا انهدمت هذه الكليات بين أفراد المجتمع ضاعت وحدة الأمة، كما نجد في البعد التشريعي في السنة النبوية حماية الصف من الاختلاف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يبيع أحدكم على أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه) وزاد مسلم (لا يسم الرجل

على سوم أخيه) (الترمذي 1515)، ولعل اشتراط التقابض في المجلس الواحد، في عقد الصرف إلا دفعاً للتنازع والخصومات بين المسلمين ففي الحديث الذي روي عن عبادة بن الصامت رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) (الامام أحمد ومسلم والنسائي)، ولعل هذه الوحدة التي تفتن إليها قادة الثورة 1954 وتحت قيادة واحدة أعطت ثمارها توج بالاستقلال 1962 بعد ثورات وتجارب خاضتها قيادات في الشرق والغرب والشمال والجنوب كثورة الأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة والمجاهدة فاطمة لالا نسومر والشيخ أمود وثورة والزعاطشة وغيرها من الثورات لم تثمر بالاستقلال كلها كانت تفقد لعنصر الوحدة.

2.1 خطاب يدعوا إلى حفظ الكليات الكبرى:

لهذا الدين كحفظ النفس والدين والنسل والعقل والمال، وحفظ هذه الكليات الخمسة في علاقة تجاذب مع حفظ الوطن، فحفظ الدين مثلاً لا يكون إلا بحفظ الوطن وأمنه واستقراره، فإذا ضاع الوطن انتهكت الأنفس والمال والنسل والعقل وتعدي على الدين وحفظ الأوطان وانتشار الأمن فيه واستقراره وتنميته يؤدي إلى حفظ الكليات الخمسة السابقة ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حريص على صلح الحديبية لما فيه من هدنة عشر سنوات رغم ما فيه من ضيم فأقبل الناس على الاسلام أكثر مما أقبل قبل هذا الصلح فسماه القرآن الكريم فتحاً.

من عمل الصاحبة عليهم الرضوان في حفظ الوطن بحفظ الدين:

- 1- تقديم الصحابة اختيار الخليفة الأولى وبيعته على صلاة الجنازة ودفنه عليه الصلاة والسلام إلا لحسم الخلاف بين المهاجرين والأنصار الذي قد يؤدي إلى التهاجر والتقاتل بينهم وإلى نسف الوطن الجديد إذا باتت الأمة من غير حاكم.
- 2- الأمر بجمع القرآن الكريم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى لا تختلف الأمة على المصدر الأول للتشريع فيكون جمعه توحيد الأمة على هذا المصدر.
- 3- اعلان أبو بكر الصديق رضي الله عنه الحرب على مانع الزكاة حتى لا تذهب عروة الاسلام عروة عروة.
- 4- من مقاصد الفتح الاسلامي ضمان حماية الوطن.
- 5- من مقاصد السرايا والغزوات تأديب العرب التي كانت تهدد كيان الوطن الجديد كغزوة ذات الرقاع وبني المصطلق وغيرها.

3.1 خطاب يحافظ على منظومة القيم:

كالصدق والوفاء والعمل والاخلاص للأوطان.. الخ ومنه الخطاب القرآني الذي نص في كثير من نصوصه على هذه القيم، فحين خرج موسى عليه السلام من وطنه مجبراً حن إلى وطنه الأول قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ سورة القصص 29، يقول ابن العربي: (قال علماءنا: لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله وحن إلى وطنه وفي الرجوع إلى الأوطان تقتحم الأغوار وتركب الأخطار وتعلل الخواطر) (أبو بكر محمد بن العربي، 1424 - 2003)، ذكر ابن كثير عن مقاتل عن الضحاك قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه: أن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي إلى مكة... وعن ابن عباس قال أي: لرادك إلى مكة كما أخرجك منها... وعن مجاهد: إلى مولدك بمكة) 8 (ابن كثير، 1420 - 1999). وعن علي رضي الله عنه قال لما قدمنا المدينة أصابنا من ثمارها فاجتبيناها وأصابنا بها وعك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخير عن بدر) (الامام أحمد بن حنبل، 2001)، قال ابن عبد البر في الاستذكار: (فيه بيان ما عليه أكثر الناس من حنينهم إلى أوطانهم وتلفهم على فراق بلدانهم التي كان مولدهم بها ومنشؤهم فيها) (ابن عبد البر، 1993).

ومن مظاهر الوفاء للوطن السؤال عن أخباره، يرد لنا شارح الموطأ أثراً: أن أصيل قدم مكة فسألتها عائشة كيف تركت مكة يا أصيل؟ قال: تركتها حين أبيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأعذق أذخرها وأمشر سلمها فاغرورقت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال: (تشوقنا يا أصيل ويروى أنه قال: دع القلوب تفر) (شرح الزرقاني على الموطأ تحقيق طه سعد، 2003)، ومن الوفاء للوطن كقيمة أخلاقية الوفاء لعلمائنا-مدارسه وتحقيقاً لما تركوه من ثروة علمية تحتاج نفص الغبار عنها، كالإمام المقرئ وابن مرزوق الحفيد وأبي عبد الله الشريف التلمساني وأبي علي الزواوي وهؤلاء الأربعة كلهم من شيوخ الإمام الشاطبي صاحب الموافقات، والامام المحدث الداودي أول من شرح البخاري والإمام ابن معطي الزواوي أول من نظم ألفية في النحو، وشيخ المفسرين هود ابن محكم الهواري وعالم الفلك ابن قنفذ القسنطيني والمفكر العالمي مالك ابن نبي ورائد النهضة الجزائرية عبد الحميد ابن باديس والأديب البحر والعالم الفذ البشير الإبراهيمي وغيرهم من أعلام الجزائر.

4.1 خطاب يتجلى فيه مقصد تعمير الأوطان:

ومن ركائز تعمير الأوطان حفظ الأمن قبل حفظ المال فقد دعا إبراهيم عليه السلام لمكة بالأمن قبل الرزق وهما مقصدين أساسيين في تعمير الأوطان قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة البقرة 126، فقد دعا بالأمن قبل الرزق لأهل مكة، قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه

من جوامع كلم النبوة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء، إذ لا أمن بدونها وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة، فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأولى وإذا اختل (الأمن) اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الاسلام (محمد الطاهر بن عاشور، 1984)، ومن أجل تحقيق مقصد تعمير الأوطان وحمايته حرم كل ما يهدم هذا المقصد، ومن ذلك جاءت عقوبة الإفساد في الأرض والاخلال بالأمن فيه عقوبة قاسية ومتنوعة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة المائدة 33، قال ابن حجر في الفتح: يكفيه مفارقة الوطن والعشيرة خذلانا (ابن حجر، 2000). وإذا استقرينا نصوص السنة وجدناها طافحة بالحث على تحقيق هذا المقصد، بداية من إمطة الأذى عن الطريق فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ) إلى قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يُغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ) (رواه الامام أحمد في مسنده والبخارى في الأدب المفرد عن أنس بن مالك رضي الله عنه)، والتعمير يمتد الى كل ما فيه نفع حتى ولو كان المستفيد من غير الإنسان قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرضا فيأكل منه طيرا أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) (رواه مسلم).

وشجع الاسلام على تعمير الأرض فقال عليه الصلاة والسلام: (من أحيا أرضا ميتتا فهي له) (رواه البخاري)، والناظر في الفتح الإسلامي كان فتح تعمير لما تحمله الحضارة الاسلامية من قيم. ولقد كان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة شاهد على نموذج الفتح الاسلامي الحضاري فحافظ على طبيعة عمران مكة، ما هدم بيتا ولا أفسد طريقا بل نظفها من الأصنام وهي دخيلة على أهل مكة ومن هذه الصور ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح أرض العراق عندما أمر أن تبقى بيد أهلها مع ضرب الخراج عليهم ووجه ذلك وعلة بقوله رضي الله عنه: يكون عمار الأرض فهم أعلم بها وأقوى عليه.

5.1 خطاب يحمي المصلحة العامة ولو على حساب المصلحة الخاصة:

ومثال ذلك ما أفتى به العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى في ردة من تجنس بجنسية غير إسلامية قال رحمه الله: (التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة ومن رفض حكما واحدا من أحكام الاسلام عد مرتدا عن الاسلام بالإجماع فالمتجنس مرتد بالإجماع) البصائر لعدد 77، بتاريخ

30/ 07 / 1937، وعلى نفس المسار والرؤية أفق الشيخ إبراهيمي بردة من كان ولائه للمستعمر فهذه الفتاوى لا يمكن فهمها إلا في ظروفها الاجتماعية والسياسية حماية للوطن وترجيح المصلحة للوطن على مصلحة الأشخاص، وكيف كانت في حينها أمضى من أسلحة المستعمر كامل العتاد وما كان لها من أثر بالغ في حماية الذات من الذوبان في شخص المستعمر وحفظ الوطن من تعدد الولاءات بداخله. وكم كان لها من أثر في صمود هذا الشعب أمام سياسة المستعمر للقضاء على قيم الوطنية والتدوين ومنها الإخلال بقيمة الوفاء للوطن والدفاع عنه واعتقد أن لهذه الفتوى عمقا ثقافيا لا يمكن تجاوزه في ضمير الأمة وبعدها تاريخيا وسياسيا لا يمكن طمسه حيث شكلت مثل هذه الفتاوى في تلك الحقبة سياجا وسلاحا قويا لتعميق وتقديم مصلحة الوطن على كل المصالح الخاصة للأفراد والجماعات والأحزاب فكانت فتوى بحق تجسد المعنى الحقيقي للانتماء والوفاء للوطن.

خاتمة

لا يمكن أن نخاطب شباب من المهاجرين و شيوخ إلا إذا كان هذا الخطاب ذو حمولة قرآنية تصل إلى القلوب وتبين أن الوفاء للوطن واجب شرعي، وما قدمه المهاجرون في عهد الاستعمار من دعم مادي ومعنوي لا يقل عن ما يقدمه المهاجر اليوم من حب ووفاء وتعمير لوطنه بكل الوسائل ومنه يكون هذا الخطاب يدعو إلى الوحدة وينبذ الفرقة والعنف وخطاب الكراهية بكل أنواعه، وتحت كل نزعة عرقية أو أثنية أو دينية فهو خطاب منبوذ، ثم لا يكون لهذا الخطاب دور في حماية الوطن والوفاء له إلا إذا كان خطاب يحقق من خلاله المقاصد الكلية لهذا الدين كحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال وهذه الكليات الخمس تمثل ركائز بناء الوطن ومن غيرها.

لا يمكن بناء أي وطن من غير هذه الخماسية وإذا ضاعت هذه الكليات ضاع الوطن وإذا ضاع الوطن ضاعت هذه الكليات، ولذلك قدم الصحابة عليهم الرضوان الاتفاق وبيعت الخليفة الأول للمسلمين بعد نقاش وجدال حول من يتولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دفن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يعلمون أن الأمة لا تبت من غير حاكم حتى لا تنتشر الفتنة ويقع التهاجر والتقاتل بين المسلمين. وحتى لا يذهب عرى الإسلام عروة عروة، أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن بعد معركة اليمامة التي قتل فيها أهل القرآن فخشي أن يضع القرآن بموت أهله فانتدب لذلك زيد رضي الله عنه بجمعه من الصدور والسطور حتى لا يضع مصد الوحدة والتشريع وكذلك خطاب يحقق مقصد التعمير ويعنى بكل ما يفيد الوطن من أفكار ومشاريع اقتصادية وعقول نابغة تقدم الخير للوطن.

الهوامش والمراجع

- 1- سورة الحجرات الآية 13.
- 2- رواه الترمذي.
- 3- متفق عليه.
- 4- رواه مسلم رقم 1515.
- 5- رواه الامام أحمد ومسلم والنسائي.
- 6- سورة القصص الآية 29.
- 7- أبوبكر محمد بن العربي - أحكام القرآن - دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1424هـ - 2003م - (ج3-511ص).
- 8- ابن كثير - تفسير القرآن العظيم تحقيق سامي محمد سلامة دار طيبة الرياض الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م (ج4-260ص).
- 9- الامام احمد بن حنبل - مسند الامام احمد تحقيق شعيب الأرنؤوط اشرف عبد الله التركي مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 2001م (ج2-259ص).
- 10- ابن عبد البر - الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار - دار الوعي القاهرة الطبعة الأولى 1993 (ج26-48ص).
- 11- الزرقاني - شرح الزرقاني على الموطأ تحقيق طه سعد - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة طبعة الأولى 2003م (ج4-ص364).
- 12- سورة البقرة الآية 126.
- 13- محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر ط1984 - (ج1ص715).
- 14- سورة المائدة الآية 33.
- 15- ابن حجر - فتح الباري - دار السلام الرياض طبعة 2000م (ج12ص135).
- 16- رواه الامام أحمد في مسنده والبخاري في الأدب المفرد عن انس بن مالك رضي الله عنه.
- 17- رواه مسلم.
- 18- رواه البخاري في الصحيح .
- 19- البصائر لعدد 77، بتاريخ 30 / 07 / 1937.